ثمن السلام !

قبل التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد كثر الحديث في الصحف العربية والاسرائيلية والاجنبية عن ثمن الحرب. كم مليارا من الدولارات والروبلات كلفت عملية التسلح واعادة التسلح. تأثير كلفة التسلح على الاقتصاد العربي والاسرائيلي. واذكر مرة انهم قدروا ثمن الصاروخ بانه يكفي لبناء دار من ثلاثة ادوار.

قد يكفي ثمن صاروخ لبناء دار من ثلاثة ادوار او دورين او اربعة. وقد يكون كل الكلام عن ثمن الحرب صحيحا ودقيقا. لكن احدا لم يتكلم آنذاك عن ثمن السلام. وعمن دفع هذا الثمن.

هل دفعته مصر؟ هل دفعته اسرائيل؟ هل دفعته امريكا؟ ويظل الجواب الواقعي الوحيد ان الشعب العربي الفلسطيني هو الذي دفع من ارضه ودمه وعذابه ثمن ذلك السلام. ولا يجوز النسيان ان اشقاءنا اللبنانيين أسهموا هم ايضا في دفع هذا الثمن وما زالوا يدفعون الى اليوم: قطرة دم بجانب قطرة دم. وقطعة نقد بجانب قطعة نقد. وقطعة ارض بجانب دمعة يتم وهلمجرا، وعليه قس.

واليوم في اعقاب حرب الخليج التعسة والبائسة، يعود اللغط حول السلام. تتكرر الاتصالات العلنية والسرية والجولات المكوكية

مع فارق صغير لاختلاف المكوك من موديل كيسنجر الى موديل بيكر، وهو فارق غير هام على الاطلاق كما يبدو من التصريحات المتناثرة في جو الشرق الاوسط مثل قشور البزر في سهرة ربيعية على بلكون ريفي.

كان السيد جورج بوش قد المح-صرح بأنه يقبل بشعار "الارض مقابل السلام" الذي طرحه في حينه الملك حسين كحل وسط بين الشعار الفلسطيني: "الدولة الفلسطينية المستقلة مقابل السلام" والشعار الاسرائيلي: "السلام مقابل السلام".

ورغم المغمغة البائنة في شعار "الارض مقابل السلام" والتي جعلته مقبولا، كما يبدو، على الادارة الامريكية، من حيث انه يتجاهل الشعب الفلسطيني وقيادته تجاهلا تاما، فان حكام اسرائيل ما زالوا يعارضونه. واكثر من ذلك فانهم يعطون شعارهم "السلام مقابل السلام" بعدا جديدا، بعدا تهديديا إنذاريا تخويفيا فيه من الغطرسة والعنجهية والتعالي ما يكفي لاخراج المرء الوقور عن طوره!

انهم، على حد تعبير اسحق شمير (صحف امس الاول) مستعدون لتقليص السلاح غير التقليدي مقابل انهاء حالة الحرب من الجانب العربي.

وبكلمات أخرى، اكثر وضوحا، فان حكام اسرائيل على استعداد لتقليص تهديدهم للعرب اذا تنازل العرب عن القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني والوطن الفلسطيني.

وهكذا فان الشعب الفلسطيني مطالب مرة اخرى بدفع ثمن السلام. وهو مطالب الان بالالتغاء الذاتي. الامر الذي لا يستطيع ان يقبل به او ان يسلم به اطلاقا.

يهمنا ان يتحقق السلام للشعوب العربية حتى تتمكن من ترميم واقعها الكارثي الذي فرضته عليها سياسة الثالوث الامبريالي - الصهيوني - الرجعي.

يهمنا أن تعيش شعوب المنطقة وشعوب الارض قاطبة للابداع والعمران والسعادة لكن شعبنا لا يستطيع دفع الثمن الكامل لهذه الصفقة.

إن الاعتراف باسرائيل والاستعداد للتعايش معها هو أكبر ثمن يمكن أن يدفعه شعبنا أو أي شعب آخر في مثل وضعه. وهو ثمن باهظ للحرب وللسلام معاً. وقد أعلنت قيادات هذا الشعب استعدادها للدفع من أجل الاستقرار والتطور وحقن الدماء، فماذا يريدون منها بعد؟

قالو له: نم، حتى نذبحك!

فقال: والله انه لشيء يطير النوم !!

«الاتحاد» ٥ نيسان ١٩٩١